الإرث الغرايسي والتّداوليّة المعرفيّة من خلال كتاب "التّداولية اليوم علم جديد في التّواصل" لجاك موشلار وآن ربول.

أ. أحلام بن عمرة، جامعة تيزي - وزو.
إشراف: أ. د. ذهبية حمو الحاج

ملخص: اختلفت نظرة الباحثين إلى اللّغة؛ حيث رأى بعضهم بأنّه يمكن تأويل الأقوال والكشف عن مقاصد منتج الخطاب دون العودة إلى السياق، ورأى بعضهم بأنّه لا يمكن ذلك إلاّ من خلال فهم اللّغة في سياق الاستعمال هذا الاختلاف في الرؤى دفع بعض اللسانيين إلى الاهتمام بكيفية اشتغال الدماغ البشري، وكيفية انتاج الأقوال وتأويلها تأويلا صحيحا، وقد أكدوا من خلال أبحاثهم على أهمية العناصر غير اللّغوية التّي تعد من صميم البحث التّداولي الذي يهتم بمختلف العمليات الذهنية والاستدلالية والاستنتاجية التّي تسهم في عمليّة تأويل الأقوال وهذا ما كشف لنا عنه "جاك موشلار""وآن ربول" في كتابهما التّداولية "اليوم علم جديد في التّواصل"؛ حيث أكدت دراستهما المستندة إلى أبحاث "سبربر""وولسن" إلى أن التّأويل التّداولي للأقوال يجمع بين العمليات التّرميزية والعملية الاستدلالية.

الكلمات المفتاحية: تأويل الأقوال؛الإرث الغرايسي؛التّداولية المعرفية؛العمليات الاستدلالية؛العمليات الترميزية

The Grice heritage and the cognitive pragmatics through the book "Pragmatics today: is a new science of communication" of JAQUEMOESCHLER and ANNE REBOULE

Abstract : The view of the researchers differed towards language, where some saw that the words can be interpreted andthe discourse producer's purposes can berevealed without returning to the context.Otherssaw that it is not possible only by understanding the language in the context of use. This difference in visions led some linguists to pay attention to thefunction of human brain, and how to produce and interpret the words correctly. They

confirmed through their researches the importance of non-linguistic elements, which are the principles ofpragmatic research, which deals with various mental, deductive and inductive processes that contribute to the operation of words interpretation."JAQUE MOESCHLER"and"ANNE REBOULE"revealed us in their book "Pragmatics today : a new science of communication". Their study based on the research of "Sperber" and "Wilson"affirmed that the pragmatic interpretation of words combines between thesymbolic processes and the deductive process.

Key words : Interpretation of words;GRICE heritage;Cognitive pragmatics;Deductiveprocesses;Symbolic operation

مقدّمة: يعدّ موضوع المعرفة من المواضيع التّي شغلت ذهن الإنسان منذ القديم؛ وكان محل اهتمام الفلاسفة على اختلاف مشاربهم وتعدّد وجهاتهم بها وبطبيعتها، هذا الاهتمام المستمر والمتنّوع لم يقتصر على ميدان واحد، بل اشتركت فيه عدّة ميادين: كالفلسفة وعلم النّفس، والطّب، والبيولوجيا، وعلم الحاسوب، والاتّصال الّذي اتّخذ اللّغة وسيلة له؛ فهي أداة للتّواصل، والتّعبير عن المشاعر ووسيلة يعتمد عليها المتكلّم لتبليغ أفكاره إلى المتلقي، الّذي لا تقل أهمّيته عن أهمّية المتكلّم؛ فإذا كان المتكلّم هو منتج الخطاب؛ فإنّ المتلقي هو من يساعده على إنتاج الخطاب؛ ولذلك اعتنت الدّراسات التّداولية المعاصرة في علاقتها بالعلوم المعرفية عناية بالغة بمعرفة المخَاطَب وتعيينه، ومعرفة قرائن السّياق اللّغوي وملابسات الموقف الكلامي وجميع العناصر التّداولية المساهمة في الكشف عن مقاصد منتج الخطاب والحالات الذّهنية التّي تشكّل منها؛ فالمتكلم ليس ذاتا ناقلة، وإنّما هو ذات فوقها ذوات تجمع بين ما هو صريح وما هو ضمني، من هنا نفهم بأنّ البحث التّداولي هو بحث في المقصود الّذي قد يختفي وراء الملفوظ، ولا يمكن أن يكون قصد المتكلمّ شيئا لا تحمله اللّغة، إنّما قصد المتكلّم مضمّن في اللّغة مضاء بالسّياق؛ وقد أشار" فان دايك" إلى أنّ السّياق التّداولي" يتكوّن من جميع العوامل النّفسية والاجتماعيّة التّي تحدّد بدّقة مناسبة أفعال اللّغة، ومن بينها المعرفة والرغبات والإرادة، والأسبقيات المعتبرة عند مستعملي اللّغة وأحكامهم - من جهة- وعلاقاتهم الاجتماعيّة (علاقات السّلطة والصداقة مثلا) من جهة أخرى وقد يكون إنجاز بعض أفعال اللّغة في حالات أخرى محاطا بقيود مؤسساتية" (دايك، 1996،

ص67) نفهم من هذا أنّه لا يمكننا الكشف عن مقاصد المّتخاطبين إلاّ من خلال فهم اللّغة في سياق الاستعمال، إلاّ أنّه يوجد بالمقابل من يرى بأنّه بالإمكان أن نفهم اللّغة بمعزل عن السّياق.

إنّ هذا الاختلاف في الرؤى دفع اللّسانيين والتّداوليين في أبحاثهم المختلفة إلى النظر في قضيّة إنتاج الأقوال وتأويلها؛ وحاولوا الفصل فيها، ومنه ارتأينا في هذا البحث أن نعالج إشكاليّة في غايّة الأهميّة مفادها: هل تأويل الأقوال مرتبط بفك رموز اللّغة أم يتجاوزها إلى عوامل أخرى؟

1. مفهوم التّداولية:

– **التّداولية في القرآن الكريم:** جاء مصطلح التّداولية بمعناه اللّغوي في بعض الآيات الكريمة والشّاهد على ذلك قوله تعالى: **چ** ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ **چ** (القرآن الكريم، سورة البقرة: آية 188) تدلوا بها أيّ تلقوا بها، وأدلى الدلو أرسلها في البئر ويقول تعالى في موضع آخر: **چ** ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ **چ** (القرآن الكريم، سورة الحشر: آية 7) "دولة بضمّ الدال وقرئ بفتحها لغتان ما يدول للإنسان أيّ يدور من الجدّ يقال دالت له الدّولة وأديل لفلان". الدراويش(1992، ج 10، ص37)

وقال تعالى: **چ** ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ **چ** (آل عمران 140)، ومعنى نداولها بين النّاس في هذه الآية الكريمة هو: "نصرفها بين النّاس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء، ودالت له الدول، ودالت الأيّام، وأدال الله بني فلان من عدوهم جعل الكرة لهم عليه". الدراويش(1992، ج 2، ص59) والملاحظ في هذه الآية الكريمة أنّ التداول لا يخرج عن معنى التّناوب والتّعاقب ومثل الكلام فيه تناوب بين طرفي الخطاب.

– **التّداولية في المعاجم اللّغويّة العربيّة:** يعود المصطلح في أصل اشتقاقه إلى مادّة (دول) ف" الدَّولةُ والدُّولةُ: العقبة في المال والحرب سواء... والدّولَة: بالفتح في الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى يقال: كانت لنا عليهم الدَّولة والجمع الدُّول والدُّولة، بالضمّ في المال، يقال: صار الفيء دُولة بينهم يتداولونه مرّة لهذا ومرّة لهذا. والدُّولة بالضمّ،

اسم للشيء الّذي يُتداول به أيّ مداولة على الأمر، قال سيبويه: وإن شئت حملته على أنّه وقع في هذه الحال، ودَالت الأيّام؛ أيّ دارت، والله يداولها بين النّاس وتداولته الأيدي أخذته هذه مرّة وهذه مرّة... يقال دَواليك من تَدَاوَلُوا الأمر بينهم يأخذ هذا دَولة وهذا دَولة وقولهم دَوالَيك؛ أيّ تَداوُلا بعد تَدَاوُلٍ"(ابن منظور، 2005، مادة دول) يلحظ المدّقق في هذا التّعريف أنّ مصطلح التّداولية يدل على معنى الدوران والتّعاقب على الشّيء وانتقاله من شخص إلى آخر أو من مكان لآخر.

- **التّداولية في المعاجم اللّغويّة الغربيّة**: عرّف صاحبا القاموس الموسوعي التّداولية على أنّها " دراسة استعمال اللّغة مقابل دراسة النّظام اللّساني الّذي تعنى به تحديدا اللّسانيات"(ربول وموشلار 2010، ص21) فاللّسانيات تهتم بدراسة البنى اللّغوية في علاقتها بالسّياق الداخلي في حين تولي التّداولية الأهمّية الكبرى للسّياق الخارجي.

- **المعنى الاصطلاحي للتّداولية عند العرب**: يعدّ طه عبد الرحمن أوّل من وضع المقابل العربي (التّداوليات) للمصطلح الغربي "براغماتيقا"(la pragmatique) لأنّه في نظره المقابل الأنسب، حيث يقول:" وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح التّداوليات مقابلا للمصطلح الغربي" براغماتيقا" لأنّه باعتبار دلالته على معنيي الاستعمال والتّفاعل معا" (طه، 2005، ص28) ولقي منذ ذلك الحين استحسانا من قبل الباحثين الّذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم ويقول في معنى التّداول "فالتّداول عندنا متّى تعلّق بالممارسة التّراثية، هو وصف لكلّ ما كان مظهرا من مظاهر التّواصل والتّفاعل بين صانعي التّراث من عامّة النّاس وخاصتهم، كما أنّ المجال في سياق الممارسة، هو وصف لكلّ ما كان نطاقا مكانيّا وزمانيّا لحصول التّواصل والتّفاعل" (طه، 2005، ص244) نفهم من التّعريف الّذي قدمه طه عبد الرحمن لمصطلح التّداول بأنّ هناك تداولا يتعلّق بالممارسة المعاصرة ، وتداول يتعلّق بالممارسة التّراثية، وهذا النّوع الأخير عبارة عن إحاطة بكلّ الظروف التّي تحف المتخاطبين الصانعين للتّراث من مختلف الطبقات.

- **المعنى الاصطلاحي للتّداولية عند الغرب**: يعرف "فان دايك" التّداولية بأنّها: العلم الّذي يهتم بـ:" تحليل الأفعال الكلامية ووظائف منطوقات لغويّة وسماتها في عمليّات الاتّصال بوجه عام" دايك(2011)؛ وحسب هذا التّعريف فإنّ التّداولية Pragmatique تعنى بدراسة الأفعال الكلاميّة Les actes de langage ، والكشف عن أهمّيتها في عمليّة التّواصل Communication، والأثر الّذي تتركه في مستعمليها، وتعتبر نظريّة أفعال الكلام Théories des actes de langage من أهمّ الأسّس التّي قامت عليها التّداوليّة

Pragmatique، وقد تزامن ظهورها مع ظهور العلوم المعرفية التّي مهدت لظهور التّداولية المعرفية.

2- مفهوم التّداولية المعرفية وملامح ظهورها: يرجع الفضل في ظهور التّداولية المعرفية "إلى كل من أوستين الذي ألقى محاضراته (محاضرات وليام جايمس) و (آلان نيوال وهربرت) اللّذين قدّما مداخلة تضمنت أوّل إثبات ألي لمبرهنة رياضية "(ربول وموشلار، 2003، ص51) بالإضافة إلى ظهور اللّسانيات التّوليدية التّحويلية التّي كانت "إيذانا بتحول جذري في مسرح الدّراسات اللّغوية؛ فلقد عمل هذا الاتّجاه على تأسيس مرتكزات جديدة في البحث اللّغوي، هذه المرتكزات على اختلاف تفاصيلها يجمعها إطار فلسفي واحد حاول شومسكي تأسيسه وهذا الإطار يتناول اللّغة على أنها نشاط عقلي" (المير وإدريس، 2000، ص51) وقد استند هذا الاتّجاه في بداياته على ثلاثة مفاهيم رئيسة وهي: "مفهوم التّحويل، البنيّة السّطحيّة، البنيّة العميقة"، (ربول وموشلار، 2003) حيث يتّم أثناء إنتاج الجملة الانتقال من البنيّة العميقة إلى البنية السّطحية، وإنّ تحديد هاتين البنيتين يتم على مرحلتين هما:

أ- "استخراج البنية العميقة التّي تعدّ أول عنصر ناتج عن عمليّة اشتقاق الجملة، وهي تضم كافة المعطيات الدلاليّة كما أنّها عالميّة.

ب- البنيّة السّطحيّة: وهي العمليّة الأخيرة من العمليّات الاشتقاقية، وتعدّ المظهر الخارجي للجملة الناتج عن العملية التّحويليّة التّي تحوّل البنيّة العميقة إلى شكلها المنطوق الفزيائي، إنطلاقا من هذا فإنّ كلّ جملة مولدّة، تمثل بمؤشرين نسقيين:مؤشر نسقي أوليّ هو البنيّة العميقة، ومؤشر نسقي مشتق أو نهائي يحمل عناصر التّفسير الفنولوجي للجملة" **(العلوي،2004، ص 54،53)** نستنج مما سبق أن كل جملة عند تحققها تتضمن على الأقل مستويين الأول يتمثل في البنية السطحية التّي يتّم عبرها تحديد تفسير الجمل الصوتي، ومستوى ثاني يتمثل في البنية العميقة التّي يتم عبرها تحديد التّفسير الدلالي للجمل.

كما لغرايس دور كبير في وضع الأسس الأولى للتّداولية المعرفية، "حيث ألقى مقالا في الدلالة، وأعاد إلقاء محاضرات وليام جيمس وأولى الظواهر اللّغوية والحالات الذهنية للمتكلّم وقدرته على إسناد هذه الحالات للآخر الأهمّية الكبرى، ممّا يسمح له بتأويل أقواله بصفة مقبولة"(ربول وموشلار، 2003، ص51)

نستنتج مما سبق بأنّ التّداولية المعرفية هي الدّراسة التّي "تهتم بالاشتغال الذهني وسيروراته العامّة متخذة من اللّغة قاعدة بوصفها قدرة ذهنية مركزية في محيط الإدراك، وما يرتبط بها من علامات وترميز وتشفير وتعبير وتفكير"(محمد طعمة محمد، 2016، ص13)

وتنطلق التّداولية المعرفية من حقيقة مفادها أنّ" اللّغة بالدرجة الأولى معنى يجب توصيله؛ أي أنّ اللّغة أداة لتنظيم المعلومة ونقلها ومعالجتها"(محمد طعمة محمد، 2016، ص13)؛ فاللّغة شكل من أشكال المعرفة ولا بد من التّركيز في تحليلها على المعنى.

وتبحث التّداولية في المعاني الضمنيّة، والإضمارات التّي تعدّ "جوانب مقاصدية من المعنى ولها خاصيات واضحة الملامح وهي مستقاة جزئيا من المعنى المتواضع عليه أو المعنى المباشر للقول حسب استعماله في سياق مشترك بين المتكلّم والمخاطَب، وتعتمد على التزام المتكلم والمخاطَب بالمبدأ التّعاوني وضوابطه"(بلبع، 2009، ص 314)؛ نفهم أن تسهيل عملية التّواصل مرهون بالالتزام بمبدأ التعاون.

3- مبدأ التّعاون وقواعد ضبط العمليّة التّخاطبية : هو مبدأ تداولي للتّخاطب وضعه الفيلسوف بول غرايس "وقد ذكره أول مرّة في دروسه الموسومة:(محاضرات في التّخاطب، ثم ذكره ثانيا في مقالته الشهيرة" المنطق والتّخاطب" وصيغة هذا المبدأ هي:

"ليكن انتهاضك للتّخاطب على الوجه الذي يقتضيه الغرض منها" (طه،1998، ص 238) ويفترض هذا المبدأ حسب ما نقله لنا طه عبد الرحمن عن غرايس " أن يتعاون المتكلّم والمخَاطب على تحقيق الهدف المرسوم من الحديث الّذي دخلا فيه، وقد يكون هذا الهدف محددا قبل دخولهما في الكلام، أو يحصل تحديده أثناء هذا الكلام"(طه،1998، ص 238)؛ أي أن هذا المبدأ يفترض أن المتّخاطبين متعاونان في تسهيل عمليّة التّخاطب ويمكن تلخيص القواعد المتفرعة عن مبدأ التعاون كالتّالي:

- "قاعدة كم الخبر: لتكن إفادتك المخَاطَب على قدر حاجته و لا تجعل إفادتك تتعدّى القدر المطلوب؛
- قاعدة كيف الخبر: فلا تقل ما تعلم كذبه، ولا تقل ما ليست لك عليه بينة"؛
- قاعدة علاقة الخبر بمقتضى الحال وهي: ليناسب مقالك مقامك؛
- قواعد جهة الخبر، وهي : لتحترز من الالتباس ولتحترز من الإجمال، ولتتكلم بإيجاز ولترتب كلامك" (طه،1998، ص 238)

لقد وضع بول غرايس هذه القواعد من أجل أن يضبط العملية التّخاطبية، ويحقق الهدف منها وهو تسهيل عملية التّخاطب؛ بحيث تكون المعاني التّي يتبادلها المتخاطبون معاني صريحة لا لبس ولا غموض فيها، إلا أنّ المتخاطبين في كثير من الأحيان يعمدون إلى

خرق بعض من هذه القواعد، وهذا ما يصطلح عليه بظاهرة الاستلزام التّخاطبي والتّي تؤسس لنوع من "التّواصل يمكن وسمه بالتّواصل غير المعلن الضمني"(أدراوي، 2011، ص8، 7) وقد استعمل "غرايس" مصطلح " المعنى الضمني" أو الإضمار للحديث عما يمكن" أن يضمّنه أو يوحي به أو يعنيه متكلّم ما فوق ما يصرح به ظاهر كلامه" (بلبع، 2009، ص310)؛ أي أنّ المتكلّم قد يقول كلاما ويقصد غيره، كما أنّ المخَاطَب قد يسمع كلاما ويفهم على غير ما قصده المتكلّم، ومن ثمّة فإنّ كثيراً من العبارات اللّغويّة إذا روعي ارتباط معناها بسياقات إنجازها، لا تتحدّد فقط في ما تدل عليه صيغتها الصوريّة، لذا يجب إيجاد تأويل آخر ملائم يحتم الانتقال من معنى صريح إلى معنى المستلزم.

وقد أحاط سورل في كتابه:(أفعال الكلام) بالأوصاف اللّغوية التّي تمكّن المخَاطَب من الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى المستلزم؛ ويتّم ذلك عبر مراحل منها:

-"الفهم الدلالي للجملة.

- تقييد دلالة الجملة بشروط الاستعمال.

- إشعار المخَاطَب بقرائن الجملة ووسائطها قصد الفهم والإدراك.

- اعتبار الجملة المستعملة وسيلة تواضعية لإنتاج (أثر تكلمي) معين للتّخاطب"

(Searle, 1972,p89)

تظهر من خلال المراحل التّي اعتمدها سورل أهميّة الاعتماد على المعطيّات (خارج اللّغة) "بحيث يتحقّق الاندماج الّذي عُبّر عنه بـ(التّداولية المندمجة) التّي تعمل على دمج الظواهر اللّسانيّة المشتقة من الخاصيّة الدّاخليّة للّغة، ثم ربطها بقواعد التّخاطب"(كروم، 2015، ص141) وهكذا يتمّكن المخَاطب من فهم قصد المتكلّم الّذي كما يبدو يحتاج إلى عمليات مختلفة قد تكون استدلالية.

4- مفهوم العمليّة الاستدلالية: استند كلّ من جاك موشلار وآن ربول في توضيح مفهوم العمليّة الاستدلالية إلى المثال الذي جاء به بول غرايس، والذي افترض السّياق التّالي: "يطلب أب من ابنه أن ينظف أسنانه، فيجيب الابن :"لا أشعر بالنّعاس"(ربول وموشلار، 2003، ص21)، يلحظ المتأمل في إجابة الابن بأنّه قد خرق أحد قواعد الخطاب التّي نص عليها بول غرايس والمتمثلة في قاعدة المناسبة، وعليه لا يمكننا أن نجزم بأن إجابة الابن تعني الرفض أم القبول؛ ولكي نتوصل إلى قصده ينبغي علينا عدم الاكتفاء بفك رموز الجملة وإنّما البحث عن المعنى الضمني الكامن في بنيتها العميقة، وهذا ما يصطلح عليه بالتّأويل، والذي يرتكز على العمليات الاستدلالية فإجابة الابن تفرض علينا طرح الأسئلة

التّالية: ما الّذي أراد الابن قوله؟ كيف تمثل جملته إجابة للأمر الّذي وجه له؟ نفهم من إجابة الطفل بأنّه يربط تنظيف الأسنان بالنّوم لأنّه عهد تنظيفها عند خلوده للنّوم ولكي نفهم بأن إجابة الطفل تعني الرفض يقتضي الأمر منّا الاعتماد على المعارف التّالية: "يحتّم وجود النّعاس الانصراف للنّوم، ثم إنّنا ننظف أسناننا مباشرة قبل النّوم، وإذا كنا لا نرغب في النّوم فإنّنا لا ننظف أسناننا ومن جملة هذه المعارف نستنتج أنّ الطفل الّذي يقول أنّ النّعاس لم يداعب أجفانه بعد لا يرغب في النّوم وإذن لا يريد تنظيف أسنانه على الفور؛ فالعبارة الاستدلالية تعني مجموع الاستدلالات التّي تفضي انطلاقا من جملة "لا أشعر بالنّعاس" وانطلاقا من معارف سابقة إلى نتيجة مفادها أنّ الطفل لا يريد تنظيف أسنانه وعلى هذا النّحو ليس إنتاج اللّغة وتأويلها قائما على نظام ترميزي حصرا، إنّ اللّغة وإن كانت نظاما ترميزيا مستقلا، فإنّ استعمالها لا يمكن فصله عن القدرات البشرية(الاستدلال، والمعارف التّي تخص الكون والتّي ليس لها البت أي صبغة لسانية)" (ربول وموشلار، 2003، ص21) يبدو أن فهم قصد المتكلّم يستدعي "أن تكون نظرية تأويل الأقوال مشتركة، وأن تتوصل إلى التّأليف بين العمليات التّرميزية والعمليات الاستدلالية" (ربول وموشلار، 2003، ص71) ويمكن اعتبار هذه النتيجة ردّاً على بعض الباحثين الذين اعتقدوا بأنّ عملية التأويل تكتفي بفك رموز اللّغة.

5- السّياق والتّحليل التّداولي للأقوال: من الأهميّة بمكان أن نؤكد على أنّ القول في التّحليل التّداولي ليس جملا معزولة يتّم تأويلها بمعزل عن سياقها، لأنّ التداولية تنظر إلى "اللّغة في شمولتها وعلاقاتها بالعالم والإنسان، كشكل من أشكال السّلوك البشري؛ فلكي نفهم ونفسّر ونعلّل ينبغي أن ننظر إلى جميع الأوضاع التّي تحيط بالعبارة؛ أي مجموع أفعال الكلام في علاقتها مع جميع أحوال الخطاب وأوضاع الكلام في بعدها النّفسي والاجتماعي، واللّساني، والثّقافي، وهكذا تنتقل التّداوليّة من الضيّق إلى الواسع، ومن الواسع إلى الضيّق" (عشير، 2006، ص 102)، فالسّياق هومجموع الظّروف التّي تحيط بالموقف الكلامي، وتتحكّم في تحديد دلالة العبارات، وينتظم في شكل مداخل منها:

- "المدخل المنطقيّ: يتضمن مجموعة من المعطيات تتمثل في العلاقات المنطقيّة التّي يقيمها المفهوم مع مفاهيم أخرى(تناقض، استلزام) ويصطلح عليه بالملكة المنطقيّة"بإمكان مستفعل اللّغة الطبيعيّة من حيث كونه مزودا بمعارف معيّنة،أن يشتق معارف أخرى بواسطة قواعد استدلال تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي والمنطق الاحتماليّ" (النّجار، 2013، ص225).

- المدخل الموسوعيّ ويصطلح عليه بالملكة المعرفيّة؛ حيث يستطيع مستعمل اللّغة الطبيعية أن يكوّن رصيدا من المعارف المنظمة ويستطيع أن يختزله في الشّكل المطلوب، ويستحضرها لاستعماله في تأويل العبارات اللّغويّة" (النجار، 2013، ص225).

- "المدخل المعجمي يجمع المقابل أو المقابلات للمفهوم في لغة أو لغات طبيعيّة تبعا لكون الفرد متعدّد اللّغات أم لا، مثال: ينطلق غرايس من ميّزة في اللّغة الإنجليزيّة؛ فالفعل To meanوترجم في الآن نفسه بأشار ودلّSignifier، **وقصد**Vouloir dire يشير منبه الحافلة إلى الإنطلاق، وتدّل البثور المنتشرة على جلد زيد على أنّه يعاني من مرض جداري الماء"؛(ربول وموشلار، 2003)، أي أن دلالة الكلمة تتحدد حسب السياق الذي وردت فيه.

انطلاقا مما سبق نستنتج بأنّ السياق يبنى قولا بعد قول:" إذ ليست المعلومات المفهوميّة هي المعلومات الوحيدة التّي تدخل في تشكيل السّياق، بل تتدخل أيضا إلى جانب تأويل الأقوال المباشرة، المعلومات المرتبطة بالمحيط الفيزيقي الّذي يأخذ فيها التّواصل مكانه وهي معلومات متراكمة في النّظام المركزيّ الّذي يظم الذاكرة بأنواعها الثلاث: (عشير، 2006، ص35)

الأولى: ذاكرة العمل وهي ذاكرة قصيرة المدى وتوافق السياق الآني.

الثانية: ذاكرة متوسطة المدى، حيث تتراكم فيها تأويلات الأقوال المباشرة.

الثالثة: ذاكرة بعيدة المدى حيث توجد المعلومات المفهوميّة.

وإنّ المعلومات المستخرجة من الذاكرة توافق ثلاثة مراحل زمنية (عشير، 2006، ص36)

1. المعلومات المستخرجة من الذاكرة البعيدة المدى.
2. المعلومات المستخرجة من الذاكرة المتوسطة المدى.
3. المعلومات المستمدة من المحيط الفيزيقي.

هذه المعلومات تشكل ما يسمى بالمحيط المعرفي الذي تتعدّد معلوماته، ولا يستطيع الإنسان استعمالها كلها، وهنا يتدخل مبدأ الملائمة الّذي يسمح باختيار التّأويل المناسب، حيث يجعل مبدأ الملاءمة المتكلّم يختار من بين هذه المعلومات المتعدّدة مجموعة من المقّدمات، وينبغي الإشارة إلى أنّ الصّيغة المنطقيّة للقول هي "لزاما إحدى المقدّمات المنطقيّة "(ربول وموشلار، 2003، ص87) أما باقي المقدّمات التّي يتكوّن منها السّياق فتساهم المعطيات الموسوعيّة في صياغتها وتتكوّن من معلومات، وقد رأى سبربر

وولسن حسب ما ورد في كتاب جاك موشلار وآن ربول ضرورة توظيف النّظام المركزي في انتقاء المعلومات التّي تمكننا من التّوصل إلى نتائج تكون كافية للحكم على قول ما بأنّه مناسب.

وتمثل المناسبة كلّ ما تبقى لدى سبربر وولسن من قواعد المحادثة عند غرايس وتتطلب الإحاطة بمفهومها الرجوع إلى مفهوم الدلالة الطبيعيّة والدلالة غير الطبيعيّة عند غرايس؛ فالدلالة الطبيعيّة تدّل على أنّ هنّاك علاقة تربط الظواهر بأغراضها؛ حيث يظهر مراد المتكلّم في القوّة الإنجازيّة الحرفيّة، وهنّاك دلالة غير طبيعيّة التّي تقوم على "مقصد مزدوج: مقصد تبليغ محتوى، ومقصد تحقيق هذا المقصد نتيجة تعرف المخاطب عليه وفي نفس هذا التّوجه يميّز سبربر وولسن حسب ما جاء في كتاب جاك موشلار وآن ربول التّداولية اليوم علم جديد في التّواصل بين:

1" . المقصد الاخباريّ:ما يقصد إليه القائل من حمل المخاطب على معرفة معلومة معيّنة.

2 . المقصد التّواصليّ: ما يقصد إليه القائل من حمل المخاطب على معرفة مقصده الاخباري لكن كثير من منظري التّواصل لا يرون حاجة إلا للمقصد الاخباري." (ربول وموشلار، 2003، ص79)

وقد بين لنا جاك موشلار وآن ربول في كتابهما كيف ربط سبربر وولسن مفهوم التّواصل الإشاريّ الاستدلاليّ، بالمقصدين الإخباري والتّواصلي، ووضّح التّواصل الإشاريّ الاستدلالي كما يلي:"يوجد تواصل إشاري استدلاليّ عندما يبلغ شخص ما شخصا آخر بواسطة عمل معيّن مقصده المتمثّل في إبلاغه معلومة معيّنة" (ربول وموشلار، 2003، ص80)؛ أي أنّ هذا النّوع من التّواصل يحصل كلّما بلغنا معلومة، وكان المقصد من التّواصل واضحا مهما كانت الوسيلة لذلك، وقد وضح ذلك بمثال زينب "إذا كانت زينب تتجوّل في بلد لا تعرف لغة أهله وذات يوم صيف جميل؛ حيث السّماء زرقاء، لا تغشاها إلا بعض السّحب، فمن المشرع لها أن لا تعتقد على أنّ هذه السّحب تدّل على شيء معيّن، وإنّما هي مجرد سحب عابرة؛ فبالنسبة لزينب ليس للسّحب دلالة طبيعيّة أوغير طبيعيّة، أمّا بالنّسبة للسّاكن المحلّي؛ فإنّ السّحب تحمل دلالة غير طبيعيّة اكتسبها من معارفه الموسوعيّة وهي بالنسبة إليه تشير إلى قدوم زوبعة خطيرة" (ربول وموشلار، 2003، ص81) إنّ هذا المثال يجعلنا نفرق بين المكوّن الاشاريّ والمكوّن الاستدلاليّ؛ فعندما مسك السّاكن المحلي زينب من كمّها، وأشار إلى السّحب؛ "تصّرف على نحو إشاريّ، في ما يخصّ مقصده الاخباري، وفي

ما يخّص مقصده التّواصلي، وعندما تسعى زينب إلى الكشف عن مضمون المقصد الاخباري للسّاكن المحلي؛ فإنّها ستتخذ لها مقدّمة منطقية تتمثّل في الآن نفسه في ما يشير إليه الساكن(توجد سحب) وتستعين بالمدخل الموسوعي، فقد تكون السّحب مصحوبة بزوبعة وعليها أن تدخل إلى البيت؛ فالسّاكن عندما أشار إلى السّحب لم يري زينب شيئا لم تره من قبل، ولكنّه قصد لفت انتباهها؛ فحاولت زينب أن تعطي السّحب معنى وهنا بالتّحديد يتدّخل مبدأ المناسبة؛ فالسّحب لا تولد أيّ انتظار للمناسبة، فهي مناسبة بالنسبة للسّاكن المحلي بمقتضى معارفه، ولكنّها غير مناسبة بالنّسبة لزينب، ولكن عندما لفت انتباهها إليها أصبحت مناسبة وعليه يمكن القول أنّ العمل التّواصلي الاشاريّ الاستدلالي يولد انتظار المناسبة" (ربول وموشلار، 2003، ص 81) وقد تطلب هذا الاستدلال جهدا من زينب، ومن هذا المنطلق يمكن القول.

- "تزداد مناسبة عمل التّواصل الاشاري كلّما تتطلّب عمل التّواصل الاشاري الاستدلالي نتائج أكثر؛

- يؤدي عمل التّواصل الاشاري استنتاجات في نهاية العملية الاستدلالية للتّأويل؛

- إذا حقق التّواصل الفائدة؛ فإنّ عمل التّواصل الاشاري الاستدلالي يكون مناسبا؛

- يشترط لنجاح عمل التّواصل الاشاري أن تعادل النتائج التّي تمّ الحصول عليها الجهود المبذولة" (ربول وموشلار، 2003).

6- مراحل التّحليل الذهني للأقوال: يحتوي الذهن البشري على عدة طاقات وتعدّ "كلّ طاقة من طاقاته بمثابة ملكة"(ربول وموشلار، 2003، ص73)، وقد ورد تعريف مصطلح ملكة في معجم الوجيز بأنّها عبارة عن" استعداد ذهني أو وجداني لتناول أعمال معيّنة حذق ومهارة مثل الملكة العدديّة والملكة الفنيّة والملكة اللّغويّة" الوجيز(1994)، باختصار الملكة هي استعداد الذهن لتناول الأعمال، والمهم هو أن نبين ونوضح طريقة عمل الذهن ونكشف عن العمليات التي يعتمدها في معالجة المعلومات.

تتم عمليات معالجة المعلومات على مستوى الذهن عبر مراحل، يتّم في مرحلة الأولى معالجة المعلومة على مستوى المحولة، والتّي تترجمها بدوره إلى نسق يتّم معالجته على مستوى النّظام الطرفي "عندما يستقبل الذهن المعلومة أيّ كان نوعها لأول وهلة يتمّ ترجمتها في مستوى المحوّلة؛ حيث تترجمها إلى نسق يقرأه النّظام الطرفي، وهو بدوره عبارة عن منظومة تنقسم إلى عدّة أنظمة، فهناك نظام مختص بمعالجة المعطيات السّمعيّة ونظام مختص بمعالجة المعطيّات الشّميّة ونظام يهتمّ بمعالجة المعطيات اللّغويّة" (ربول

وموشلار، 2003، ص74)، إنّ الأنظمة المكوّنة للنّظام الطرفي تعمل على معالجة القول من خلال فك رموزه، وهنا يأتي دور النّظام المركزي الذي يتدخل ليتمّم عملية تأويل الأقوال عن طريق مقارنة معلومة بمعلومات أخرى، فالنّظام الطرفي يختص بمعالجة المعطيات اللّغوية، أمّا المعطيات غير اللّغوية التّي تعدّ من اهتمامات التّداولية؛ فإنّها تقابل النّظام المركزي الّذي يتولى معالجتها؛ وعليه ليست العمليّة التّداوليّة سوى العمليّات العاديّة للنّظام المركزي، وهذا يعني بأنّ دراسة التّأويل التّداولي للأقوال يعتمد على شرح كيفيّة عمل عمليّات النّظام المركزي الذي يأتي دوره" في آخر المراحل التّي تشكل عمليّة تأويل القول، فبعد ترجمة القول عن طريق النواقل انطلاقا من التّحليل اللّساني الّذي يقدّمه النّظام الطرفي يقوم النّظام المركزي بإتمام وإنهاء عمليّة التّأويل، وذلك بتقديم التّأويل اللّساني الكامل للقول، وهذا لا يعني أنّ التّحليل اللّساني هو المعطى الوحيد الّذي يشتغل عليه النظام المركزي، بل هناك معطيات أخرى يقوم بمعالجتها أثناء التّأويل التّداولي، عشير(2006)، هذا يدل على أنّ عمليّة تأويل الأقوال عملية تحتاج إلى وقت طويل؛ حيث لا يكتفي بالنتائج التّي يقدمها لنا النّظام الطرفي، والذي يهتم بالتحليل اللّساني للقول، وإنّما يحتاج تأويل الأقوال إلى تدخل النّظام المركزي الّذي يتولى معالجة معطيات مختلفة.

خاتمة: تتمثّل أهمّ النتائج المتوصّل إليها في ما يليّ:

- اختلفت نظرة الباحثين إلى اللّغة ووظيفتها؛ حيث اعتبر بعضهم بأن وظيفة اللّغة ترميزية، وحسب هؤلاء فإنّ تأويل الأقوال يتوقف على فك رموزها، وهذا الاتّجاه يلغي دور السّياق الّذي يعدّ من المعطيات الأساسية التّي ينبغي الاستناد إليها في فهم كيفية انتاج اللّغة وتأويل الأقوال، وهذا ما أكد عليه مؤسسو النّظرية التّداولية المعرفية الّذين قالوا باستحالة عزل القول في التّحليل التّداولي عن السّياق؛

- تعدّ التّداولية المعرفية العلم الّذي يهتم بكيفية اشتغال الدماغ البشري، وكيفية انتاج الأقوال وتأويلها تأويلا صحيحا؛ حيث تتم معالجة المعلومات في الدّماغ بطريقة منطقية، وعبر مراحل كل مرحلة تقابل مكونا من مكونات الدّماغ البشري؛ فعندما يستقبل الدماغ المعلومة يتّم ارسالها إلى المحولة التّي تعالج القول معالجة أوليّة ثم ترسل نتيجة هذه المعالجة إلى النّظام الطرفي الّذي يقدم تحليلا لسانيا أوليا للقول ويوافق الشّكل المنطقي الّذي يعتبر متوالية مبنية من المفاهيم، وكل مفهوم من المفاهيم عنوان في ذاكرة النّظام المركزي؛ هذا الأخير يتدخل لتأويل القول تأويلا صحيحا؛

- يعتمد تأويل الأقوال تأويلا مناسبا على مبدأ الملاءمة الّذي يعدّ أحد القواعد التّي صاغها بول غرايس والتّي تضمنها مبدأ التّعاون الّذي يعد مجموعة من الضوابط التّي ينبغي للمشاركين في العمليّة التّخاطبية الالتزام بها من أجل تسهيل العمليّة التّخاطبية، وضمان نجاحها وتواصلها؛ حيث يساعد مبدأ التّعاون المتلقي في الوصول إلى المعنى المقصود ؛

- تتجاوز التّداولية البحث في المعنى الظاهر إلى البحث عن المعنى المختفي وراء القول، ويرى التداوليون أنّ هناك علاقة دينامية متواصلة تربط بين الضمني والصريح؛ فالمتكلّم في العلاقة التّخاطبية ليس ذاتا ناقلة، بل ذاتا مبلغة تجمع بين ما هو صريح وما هو ضمني، ولذلك ينبغي للمخَاطب أن يتعين بمختلف العناصر اللّغوية وغير اللّغوية ليتوصل إلى فهم قصد المتكلم؛

- تتمثل العناصر غير اللّغوية والتّي تعتبر من صميم البحث التّداولي في مختلف العمليات الذهنية والاستدلالية والاستنتاجية التّي تسهم في عمليّة تأويل الأقوال، وهذا ما كشف عنه جاك موشلار وآن ربول في كتابهما التّداولية اليوم علم جديد في التّواصل؛ حيث أكدت دراستهما المستندة إلى أبحاث سبربر وولسن إلى أن التّأويل التّداولي للأقوال يجمع بين العمليات التّرميزية والعملية الاستدلالية؛ وقد توصل سبربر وولسن حسب ما كشف عنه جاك موشلار وآن ربول إلى تأسيس نظريّة تداوليّة معرفيّة شاملة، تعدّ من بين الأعمال التّأسيسية والمراجع المهمّة في مجال التّداوليات وعلم التّواصل المعاصر.

قائمة المصادر والمراجع

باللّغة العربية:

القرآن الكريم.

1. أدراوي، العياشي(**2011**). **الاستلزام الحواري في التداول اللساني**. الجزائر: منشورات الاختلاف.
2. بستاني، بطرس(1987). **محيط المحيط**. بيروت: مكتبة لبنان.
3. بلبع، عيد(2009). **التّداولية البعد الثالث في سميوطيقا موريس من اللّسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة**. مصر: جمهورية مصر العربية.
4. دايك، فان (1996). **النّص بنياته ووظائفه مدخل أول لعلم النّص**. تر: محمد العمري. المغرب: الدار البيضاء.
5. دايك، فان(2000). **النّص والسّياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي**. المغرب: الدار البيضاء
6. الدّرويش، محيّ الدّين (1992). **إعراب القرآن الكريم وبيانه** ج10. سوريا: اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع.
7. ربول، آن؛ موشلار، جاك (2010). **القاموس الموسوعي للتّداولية**. تونس: المركز الوطني للترجمة دار سيناترا.
8. ربول، آن؛ موشلار، جاك(2003). **التّداوليّة اليوم علم جديد في التّواصل**. لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر.
9. طه، عبد الرحمن(1998). **اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي**. المغرب: المركز الثقافي العربي.
10. طه، عبد الرحمن(2005). **تجديد المنهج في تقويم التّراث**. المغرب: المركز الثقافي العربي.
11. عشير، عبد السلام(2006). **عندما نتواصل نغيّر، مقاربة تداوليّة معرفيّة لآليات التّواصل والحجاج**. المغرب: الدار البيضاء.
12. العلوي، شفيقة (2004). **محاضرات في المدارس اللّسانية المعاصرة. بيوت:** دار الطليعة للطباعة والنشر.
13. الفيروز آبادي، (دت). **القاموس المحيط**. القاهرة.
14. كروم، أحمد(2015). **مقاصد اللّغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي. عمان: دار كنوز المعرفة للنشر.**
15. مجمع اللّغة العربية(1994). **المعجم الوجيز**. مصر: وزارة التّربية والتّعليم.
16. محمد طعمة محمد، عبد الرحمن(2016)." بيولوجيا اللّسانيات مدخل للأسس البيو- جينية للتّواصل اللّساني من منظور اللّسانيات العصبية". **مجلة مخبر الممارسات اللّغوية**، ع37، ص13.
17. ابن منظور، جمال الدّين أبو الفضل(2005).**لسان العرب**. بيروت: دار الكتب العلميّة.
18. لمير، خالد؛ قاسمي، إدريس(2000). **التّعبير الشفوي وتعلم اللغة العربية دراسة سيكو لسانية في السلك الأول من التعليم الأساسي**. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة .
19. النّجار رمضان، نادية(2013). **الاتّجاه التّداولي والوظيفي في الدّرس اللّغوي**. جامعة حلوان: كلية الآداب.

باللّغة الأجنبية:

20. Searle, jean,(1972) .Les actes de langage, Paris: Hermann..